كتب صدرت حديثاً

تقتصر المكتبة العربيه الى الكتب التي تبحث في شؤون السينما سواء المترجمة منها او التي يحققها الكتاب العرب من المهتمين بالسينما ، ومن بين هذه القلة في مكتباتنا ، فاننا نفتقد الكتب السينمائية النظرية التي يبحث المخرج والناقد السينمائي (عدنان مدانات) في شؤونها عبر كتابه (بحثا عن السينما) . واهمية هذا الكتاب لا تاتي فقط في سد جانب من هذا الفراغ ، بل لانه اعتمد البحث العلمي الذي تميز بالسهولة والبساطة العميقتين جدا . وهو وان اعتبر مدخلا لدراسات اكثر شمولا ، وفرصة لخوض استرسالات مطولة تستطيع ان تضعنا في التصور الاكثر اكتمالا ، الا انه ايضا الرؤية المكثفة لهذا العالم الذي يسمونه (سحريا) ، عالم السينما. ان المؤلف (مدانات) ، يوصل لنا حقيقية هذه الاداة واعتمادها الكامل على العلم من خلال الواقع الحياتي والانساني .. يقول :

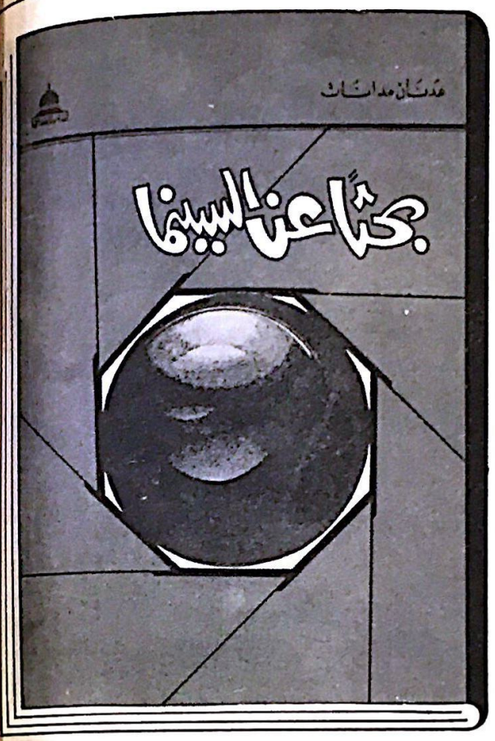

"بحثاً عن السينما"

مؤلف هام عن السينما

« ما هي الصورة السينمائية ؟

الصورة السينمائية هي النتيجة الحتمية لمرور الاشعاعات التي تنتج عن المواد الواقعية ، عبر عدسة الكاميرا السينمائية الى ان تصطدم بالشريط الحساس وتنعكس عليه وتثبت . وهي بالتالي لا تنتج بدون هذه العملية التي يمكن تلخيصها بانها تثبيت لضوء واشعاعات الواقع على الشريط الحساس .

وهذه العملية التي تبدو في اساسها ميكانيكية تجري في داخلها مجموعة من الاعتبارات الفكرية حول فهم طبيعة الصورة السينمائية . ومن اهم هذه الاعتبارات ان السينما لا يمكن ان تنشا بدون وجود مواد واقعية تعكسها وبالتالي فان ارتباطها بالواقع هو ارتباط جوهري » .

هذه الرؤية السينمائية للواقع هي اساس موضوعي وعلمي ، حدد فيها المؤلف في اول الكتاب الصيغة التي يرتكز عليها فن السينما كفن من فنون الواقع ،في حين يقودنا ، وتحت عنوان « نحو فهم السينما » الى علاقة هذا الفن بالجمهور العام بمستوياته المختلفة ، ومدى ما تخلقه من تاثير متفاوت بين انسان واخر من خلال عملية التلقي المرتبطة بالمستوى الثقافي والاجتماعي والتركيبي للمشاهد الذي (يختار) مشاهدة هذا الفيلم او ذاك ، ورغم التفاوت التي يحصل عند المشاهدين من خلال استقبال الفيلم ، فان المؤلف يحدثنا بالتحليل عن وجود قاسم مشترك يلتقي فيه ومن خلاله المشاهدون ، ذلك ان جملة من التساؤلات العامة لا بد وان يطرحها اي فيلم كما يطرحها اي مشاهد ويقسم المؤلف التساؤلات هذه الى مجموعتين ... ويقول :

« .. هناك تساؤلات تنشا عن طبيعة ارتباط السينما بالواقع .. يرى الجمهور حادثة ما في فيلم ما ويقول بان هذه الحادثة لا تحصل هكذا في الواقع، او ان هذه الشخصية غير واقعية تماما والخ . وهناك تساؤلات مشتركة ايضا تنتج عن الطبيعة الفكرية للسينما ومنها — ماذا يقصد المخرج من وراء ذلك المشهد او الى ماذا يرمز الشيء او ذلك ! هذه التساؤلات ذات طبيعة مبدئية ونهجية وهي تختلف من حيث المنهج عن التساؤلات التي تتعلق بالانطباعات الحسية التي يخرج بها الجمهور بعد شاهده ،وذلك لان هذه التساؤلات تنطلق من مستوى فهم السينما بشكل عام ، وليس من فهم افلام محددة وفي ظروف محددة » .

« ويسترسل المؤلف في محاولة لايضاح طبيعة فن السينما بين الابداع والتلقي ، ومع انه اوجز كثيرا في تحليل هذا الجانب ، الا انه وبايجازه كان واضحا في محاولة التغلب على تلك العلاقة الثنائية بين المخرج والفيلم ، ، والتي تكاد تبدو عائمة في الاستنتاجات التي يعرفها المشاهد المهتم بالسينما لا شعوريا ، بمعنى انه لم يتوصل اليها حتى الان بشكل واع يوطد علاقته بالفيلم من خلال النقد المكتوب ، وبالتالي ترتفع درجة تلقيه للفيلم السينمائي وصولا الى فكرته الاساسية ومضامينه العامة . وواضح ان المؤلف هنا قد احاط هذا الجانب بحثا كشف من خلاله التفاعل المطلوب بين السينما كلغة واداة ايصال وبين المشاهد كهدف نهائي .

حول السينما السياسية ... وهو الجزء الاخير من الفصل الاول للكتاب جنح المؤلف الى بحث تاريخي للسينما السياسية . ومن خلال هذه الرؤية التاريخية يعرفنا على طبيعتها ، وهو يعتبر نشوء السينما السياسية قد جاء على ايدي بعض السينمائيين الايطاليين الملتزمين باحزاب يسارية ، وخاصة بالحزب الشيوعي الايطالي . ومن اهمهم المخرج — فرانشيسكو روزي — ودون ان ينفي المؤلف وجود سينما سياسيا في بقية بلدان العالم طبعا ، يتحدث عن السينما السياسية في ايطاليا كنموذج ، لانه ، يعتبر ارتباط هذه السينما بتجارب حزب جماهيري ضخم لا بتجارب المجموعات اليسارية المتطرفة المختلفة التي لا تملك قاعدة جماهيرية في اوروبا (على حد تعبير المؤلف) ، ثم يخفف من هذا في قوله (ثم لان هذه السينما هي النوع المعروف اكثر من غيره في بلادنا) !

هنا لا بد وان نتوقف في اختلافنا مع المؤلف ، لان السينما هي رؤية طبقية للواقع من خلال موضوع مباشر في علاقته بالسياسة وهذه الرؤية قد ينفذ اليها مخرج منحاز للطبقة العاملة (وهو غير منتم للحزب الشيوعي .. وغير ايطالي الجنسية !) وقد يكون كذلك . المهم ان تكون الرؤية واضحة ، لان اشرطة السينما الكثيرة جدا قد افرزت افلاما سياسية ، روائية ، ووثائقية لمخرجين غير ايطاليين وليسوا من اعضاء الحزب الشيوعي ولا من التجمعات المتطرفة في اوروبا. المهم ان يكون الفيلم ضمن اسلوبية الفيلم السياسي كتيار وكظاهرة . وما ورد في الصفحة ٧٠ من الكتاب بهذا الصدد يبدو محشورا في راينا وبعيدا عن اسلوبية الكتاب وموضوعيته ، حيث يتوصل في نهاية موضوع السينما السياسية الى ما يلي :

« تبحث السينما السياسية عن مستقبل افضل للانسانية . مستقبل مليء بالعدالة ، ولهذا يمكن ان تعتبر سينما ثورية . والتحليل السياسي في هذه الافلام يقود بالضرورة الى التحريض السياسي . وهنا نصل الى صفة مهمة اخرى من صفات الفيلم السياسي وهي التحريض .. تحريض الجماهير لتغيير اوضاعها . ان التحريض في هذه الافلام هو ما يقرب هذه السينما من النضال السياسي والفعل السياسي، ويجعلها احد اسلحة هذا النضال .

في الفصل الثاني من الكتاب يقدم لنا المؤلف تجارب نقدية تطبيقية من خلال الحديث عن مخرجين تعتبر اساليبهم السينمائية نماذج لاتجاهات توضح اكثر من غيرها مسار السينما في مفهومها الاكثر عصرية وحداثة . المخرجون الذين تناولهم مدانات بالبحث من خلال اهم افلامهم المعروفة لدينا هم (بيرجمان ، فليني ، بازوليني، تروفو ، وغودار).

وتعتبر هذه الدراسات التي كتبها المؤلف عبر افلام المخرجين نظرة تحليلية هامة لاتجاهاتهم، وايضا نظرة موضوعية لكشف ابعاد الفيلم السينمائي وعلاقته بالواقع ، كذلك في شرح ابعاد لغة السينما واستخدامها للتعبير عن الواقع الانساني المعاش .

وفي الفصل الاخير لكتاب (بحثا عن السينما) يتناول المؤلف بشكل مسهب ابعاد السينما التسجيلية، والموقف من الوثيقة ، وموقف المخرج من صورة الواقع المعكوسة على الشريط ، وذلك من خلال عملية المونتاج وتركيب المشاهد مع بعضها ، وصولا الى الهدف الاساسي للفيلم .

كذلك يحدثنا عن المادة الارشيفية ، وسبل استخدامها والاستفادة منها كوثيقة مجردة قبل تدخل المخرج في عموم مضامينها ، ويعرف المؤلف الفيلم التسجيلي بانه الحدث الواقعي والفكرة ، هو العلاقة المونتاجية ما بينهما . هو شاعرية الحدث الواقعي .

وهو يرى ايضا ، الفيلم التسجيلي ، بانه عرض للواقع بذات الرؤية التي نظر اليها برشت حيث يعتبر « ان عصرنا الحاضر لا يمكن عرضه بشكل صحيح لانساننا المعاصر الا اذا عرضه الفنان كعالم قابل للتحويل . ان عصرنا هو عصر التحولات الثورية والتقدم العلمي التقني » .

وهذه النظرة هي نظرة صحيحة جدا وثورية في فهم الفن عموما والسينما بشكل خاص . فان الفنان الذي يستطيع ازيصور الواقع وبجعله امام المشاهد عالما قابلا للتحويل ، فذلك يعني انه قد اسهم في زرع الحياة والامل ودفع بالموقف باتجاهه الايجابي الهادف .

فيما يتعلق بعلاقة الصورة الفوتوغرافية بالسينما ، يبدو لنا ان المؤلف قد وقع في تفسير شبه خاطىء خلال عملية المونتاج والاستفادة منه فنيا . فهو يعتبر ان استعمال الصورة الفوتوغرافية -كونها لحظة متوقعة من الزمن تفيد من ان يستعملها المخرج خلال عملية المونتاج بطريقة نقدية لدبالوج اطول وتصرف في المسافة الزمنية للتعليق ، دون ان يدرك ، اي المؤلف ، بان الصورة الفوتوغرافية في السينما هي صورة متحركة من خلال عملية التقطيع في اجزاء الصورة الفوتوغرافية ، وكذلك خلال حركة الكاميرا بمجالاتها المختلفة ، وهي بالتالي لا تختلف عن صورة الواقع الذي يستطيع المخرج التصرف بها ضمن تصور مسبق ، مفروض فيه ، اي المخرج ، انه يحسب لها حسابا فيما يتعلق بعملية الصوت .

يبقى كتاب عدنان مدانات (بحثا عن السينما)، من المؤلفات الهامة جدا ، ان لم نقل اهم الكتب العربية الصادرة عن السينما في المنطقة العربية .

●